سفر هوشع

٦

الإصحاح السادس

صرخة إله يبحث عن إنسان

بعد أن انتهى الإصحاح الخامس بكلمات تنبئ عما سيسجله الإصحاح السادس "فِي ضِيقِهِمْ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ" (هو ٥: ١٥)، ولأن إلهنا حنان ورحيم "إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا" (حز ٣٣: ١١)، وكيف لا؟ وهو من يدعو شعبه مرارًا "ارْجِعُوا إِلَيَّ أَرْجِعْ إِلَيْكُمْ" (ملا ٣: ٧).. لأنه أعد كل شيء (لو ١٤: ١٧) لهذا ينتظر مشتاقاً لرجوعهم إليه.

١. دعوة للتوبة

"هَلُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ لأَنَّهُ هُوَ افْتَرَسَ فَيَشْفِينَا، ضَرَبَ فَيَجْبِرُنَا يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ" (هو ٦: ١- ٢).

ربما كان النبي هوشع هو صاحب هذا النداء، أو البقية التقية من شعب الله، يحفز الواحد صاحبه، بطريقة مؤثرة "هَلُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ"

إذا راجعنا الإصحاحات السابقة، حيث ذكرنا أن شعب الله يشبه مجرم تعدى القوانين ويقف في قفص الاتهام للمحاكمة، وأثناء نظر القضية، يعترف بأخطائه، متراجعاً عن أفعاله الرديئة وشروره القبيحة، طالباً فرصة ثانية للتوبة والبداية الجديدة... هذا ما فعلته الأمة الخاطئة، فالشعب تحت ثقل الإحساس بالذنب، يطلب الرب ملتمساً المغفرة، ولكن الرب الفاحص القلب والمختبر الكلى (إرميا ١٧: ١٠)، ليست خليقة غير ظاهرة قدامه، كل شيء عرياناً ومكشوفاً أمامه (عب ٤: ١٣)، يعلم كل شيء. يرى أن توبتهم ورجوعهم ليس حقيقياً بل أمراً صورياً يكشف رياءهم شيئاً فشيئاً، فلديهم ازدواجية ظاهرياً توبة ورجوع والحقيقة عكس ذلك، فإذا قالوا هلم نرجع للرب لن نذهب لأشور مرة أخرى تركنا إلهنا.. احتقرنا وصاياه، لم نصغ إليه حين أرسل لنا أنبياؤه "ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ، ... فَلَمْ تُمِيلُوا أُذُنَكُمْ، وَلاَ سَمِعْتُمْ لِي" (أر ٣٥: ١٥)، هلم نقوم ونذهب راجعين عن طرقنا الرديئة (٢ أخ ٧: ١٤).

ما المقصود بتعبير "افْتَرَسَ" وما المعنى الروحي؟

الكلمة معناها مزقنا أي تألمنا جداً

حين زنى الشعب روحياً بعباداتهم للأوثان وذهابهم وراء آلهة الأمم، أنذرهم الرب مراراً كثيرة من خلال الأنبياء، عاقبهم وجههم، تأنى عليهم ليستفيقوا ويرجعوا إلى أبيهم (لو ١٥: ١٢)، وقال لهم "ارْجِعُوا أَيُّهَا الْبَنُونَ الْعُصَاةُ فَأَشْفِيَ عِصْيَانَكُمْ" (إر ٣: ٢٢)، أبوا وصلبوا رقابهم وأضطر الجراح الماهر صاحب اليد القوية أن يؤدبهم بطرق متنوعة، ويا له من امتياز أن نكون أبناء فيؤدبنا وينقينا "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي تُؤَدِّبُهُ يَا رَبُّ، وَتُعَلِّمُهُ مِنْ شَرِيعَتِكَ" (مز ٩٤: ١٢) "لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ،.. إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ" (عب ١٢: ٧). ويا للعجب أن الرب الذي يؤدب ويضرب هو من يشفي الجروح ويوقف النزيف يجبر العظام التي سحقها "فِي يَوْمِ يَجْبُرُ الرَّبُّ كَسْرَ شَعْبِهِ وَيَشْفِي رَضَّ ضَرْبِهِ " (إش ٣٠: ٢٦).

في غضبه ضربهم، ذهبوا للسبي حين لم يتجاوبوا مع مطرقة كلمته التي تحطم الصخر (إر ٢٣: ٢٩)، ولكن في رجوعهم إليه "يَعُودُ يَرْحَمُنَا" (مي ٧: ١٩)، ويرد سبيهم..

وفي الأعداد السابقة يرى البعض أنها إشارة إلى قيامة الرب في اليوم الثالث وإشارة لآلامه وموته.

ما هي نتائج رجوعهم حتى لو كان ظاهريا للرب

١. الإعلان عن تحنن الرب وقوته الشافية..

٢. "اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ" (أف ٢: ٤)

٣. قوة غفرانه ومسامحته "أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا" (كو ٢: ١٣).

٤. عمق في معرفته أكثر

سنلاحظ هذا في الأعداد التالية
"لِنَعْرِفْ فَلْنَتَتَبَّعْ لِنَعْرِفَ الرَّبَّ. خُرُوجُهُ يَقِينٌ كَالْفَجْرِ. يَأْتِي إِلَيْنَا كَالْمَطَرِ. كَمَطَرٍ مُتَأَخِّرٍ يَسْقِي الأَرْضَ" (هوشع ٦: ٣)
عند رجوع الشعب للرب يسكب عليهم من رحمته الكثيرة يتعهدهم يتحنن عليهم ويفتح أعينهم ليدركوا غنى ووفرة محبته فتشتاق قلوبهم إلى معرفته أكثر، وحينئذ يدركوا أهمية معرفة الله يعرفوا شخصه، وصاياه طرقه فرائضه، وشهادته، ويقول إرميا آنذاك "لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ" (إر ٣١: ٣٤)، وشيئاً فشيئا الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر (إش ١١: ٩)، فهل نُقدّر نحن أيضًا ضرورة المعرفة الاختبارية المتزايدة التي قال عنها الرسول بولس "لأَعْرِفَهُ" (في ٣: ١٠). وتكرار الكلمة لنعرف ما هي إلا تأكيد على قيمة وضرورة المعرفة المرتبطة بمخافة الرب (أم ٢: ٣ – ٥)، وأيضاً بالرجاء أن الرب سيغير كل شيء وسيأتي بنعمة المطر الغنية تروي أرضنا.

ماذا عن المطر الذي يتحدث عنه هوشع؟؟
في أرض فلسطين يحتاج النبات لنوعين من المطر: المبكر (ويأتي في أوائل الشتاء وهو ضروري لإنبات البذار. ثم مرة أخرى في الربيع يحتاج النبات للمطر المتأخر لينضج الثمر.. وهنا تأتي كلمات الرجاء من هوشع بالروح القدس، أن الرب سيأتي بمراحمه على شعبه مثل المطر المنعش والمفاجئ وإن كنا لا نحدد نوعيته بالضبط ولكن كحتمية مجيء الصباح بعد ظلمة الليل، هكذا يتعهد الرب شعبه سواء المقصود هو نهاية التأديب ورجوعهم من السبي أو كان المعنى الأبعد للنبوة وهو إشراقة شمس البر في ملء الزمان التي قال عنها زكريا "لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ، بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ" (لو ١: ٧٧، ٧٨).

التوبة حياة وليس عبارات رنانة
في أيام إرميا قدّم الأنبياء الكذبة علاجات سطحية للشعب، كلمات جوفاء لم يصلوا بها إلى جذور المشكلة يشفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام (إر ٦: ١٤، ٨: ١١ – ١٥)، وهذا تماماً ما حدث من الشعب في أيام هوشع، إذ يبدو أنهم راجعين للرب بتوبة ولكنها ليست قلبية بل سطحية والرب يرد على قولهم السابق كاشفًا حقيقة كذبهم فيقول: "إِحْسَانَكُمْ (أي أعمال صلاحكم) كَسَحَابِ الصُّبْحِ، وَكَالنَّدَى الْمَاضِي بَاكِرًا" (هو ٦: ٤). يعاتبهم على التراجع والارتداد السريع عنه، فتوبتهم لم تستمر ويقول لهم: "لِمَاذَا تَرْكُضِينَ لِتَبْدُلِي طَرِيقَكِ؟" (إر ٢: ٣٦)، فالتوبة الحقيقية تثمر أعمالاً صالحة، حياة تميزها القداسة ولم يحدث هذا هنا بل كانوا كأطفال مضطربين (أف ٤: ١٤)، غاب ثباتهم في تبعية الرب وتحولوا سريعاً (لو ٨: ١٣، عب ١٣: ٩)، ولعل قراءتك للإصلاحات التي قام بها ياهو الملك ثم حزقيا (مملكة يهوذا كانت عظيمة ولكنها ذهبت مع الريح حين ملك منسى الملك الشرير وارتد وراءه الشعب)، التكريس كان مؤقتاً والعلاقة مع الله سطحية والحياة غير حقيقية، والتبعية رخيصة بلا تضحيات، وهنا يقول الرب الكلمات الشهيرة التي استخدمها الرب يسوع في كشفه لرياء الفريسيين المنتقدين له دائما "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً" (٦: ٦)، (مت ١٢: ١٧، ٩: ١٢). لم يسر الرب بتقديمهم ذبائح له، ولا يوجد وراءها أي دوافع للحب.. فقط ممارسات شكلية.

ما هي أوجه الشبه بين تعدي آدم وخطية شعب الله؟
هناك أمورا كثيرة نراها في كلمات الرب "وَلكِنَّهُمْ كَآدَمَ تَعَدَّوُا الْعَهْدَ. هُنَاكَ غَدَرُوا بِي" (هو ٦: ٧)

آدم	شعب الله
١. أخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها (تك ٢: ١٥)	أَصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً (خر ٣: ٨).
٢. أخطأ آدم "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ.." (رو ٥: ١٢، ١٤، ١ كو ١٥: ٢١ – ٢٢)	أخطأ الشعب في كل المراحل التي مر بها فسد شعبك الذي أصعدته من مصر، زاغوا سريعا (خر ٣٢: ٧)، تث ٢٨: ١٥
٣. آدم أعطاه الله توصيات (تك ٣: ١٦)	الشعب أيضاً أعطاه الرب الوصايا (خر ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣)
٤. صدّق الحية (تك ٣: ٦)	ذهبوا وراء الأوثان (مز ٧٨: ٢٢)
٥. لم يعترف بخطيته ٣: ١٢	لم يشعروا بخطيتهم (مزمور ٧٨: ٣٦ – ٣٧)
٦. طُرِد من الجنة (تكوين ٣: ٢٣)	سبي الشعب وطردوا إلى بابل
٧. نقد العهد	تركوا عهدك ونقضوا مذابحك (١مل ١٩: ١٠)

ماذا عن جلعاد وشكيم المذكورتان في (هو ٦: ٨، ٩)
كلاهما مدن للملجأ. كانت جلعاد مدينة تميزها ثروات وخيرات طبيعية، وهي مدينة كهنوتية يهرب إليها القاتل فينجو، وعلى الرغم من سكنى الكهنة فيها إلا أنهم كانوا يأخذون رشوة ويسلموا القاتل، وهذا معنى التعبير (مدوسة بالدم) من كثرة القتلى فيها، أما شكيم فهي مدينة في الطريق لأورشليم فكان الكهنة يقتلون الناس الصاعدين لأورشليم للصلاة فصاروا كقطاع طريق..

أخيراً يختم الإصحاح بحديث الرب ليهوذا عن الحصاد.. ما هو الحصاد المقصود.
"وَأَنْتَ أَيْضًا يَا يَهُوذَا قَدْ أُعِدَّ لَكَ حَصَادٌ، عِنْدَمَا أَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي" (هو ٦: ١١) هناك حصاد لكل زرع: "فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا " (غل ٦: ٧)، نوعين من الحصاد
حصاد للبركة، والحصاد كثير.. (مت ٩: ٣٧)، ومن يزرع للروح فمن الروح (الروح القدس) يحصد حياة أبدية (غل ٦: ٨).
حصاد للدينونة (مت ١٣: ١٩، يؤ ٣: ١٣) سيحصد فساداً (غل ٦: ٨).

أهم الدروس في هذا الإصحاح
١. السماء تفرح بتوبة الخاطئ. التوبة الحقيقية وليست الشيطانية.
٢. الرب يفرح ويسر بالرحمة "طوبى للرحماء"
٣. معرفة الرب أثمن من كل الكنوز
٤. أزرع للروح قبل فوات الأوان

لمزيد من الدراسة والبحث
في الشواهد التالية صور للتوبة أي نوع من التوبة هذا.
- ١ مل ٢١: ٢٧، ٢ مل ٢٢: ١٩، يو ٣: ٦ – ٩، مر ١٤: ٧٢، لوقا ١٨: ١٣.
- في دراستنا لهذا الإصحاح تناولنا نقطة هامة يؤكدها تث ٣٢: ٣٩ ما هي؟
- التراجع من وراء الرب له أسباب مختلفة، من الشواهد الآتية ابحث عنها خر ٣٢: ١، ٨، ١ صم ١٥: ١١، ١ مل ١١: ٤
- نقض آدم العهد والرب حذر الشعب قديما أن يستهينوا بوصاياه ما هي النتائج المترتبة على هذا بحسب لاويين ٢٦: ١٥- ١٧

الشاهد الكتابي للتأمل "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً" (٦: ٦)